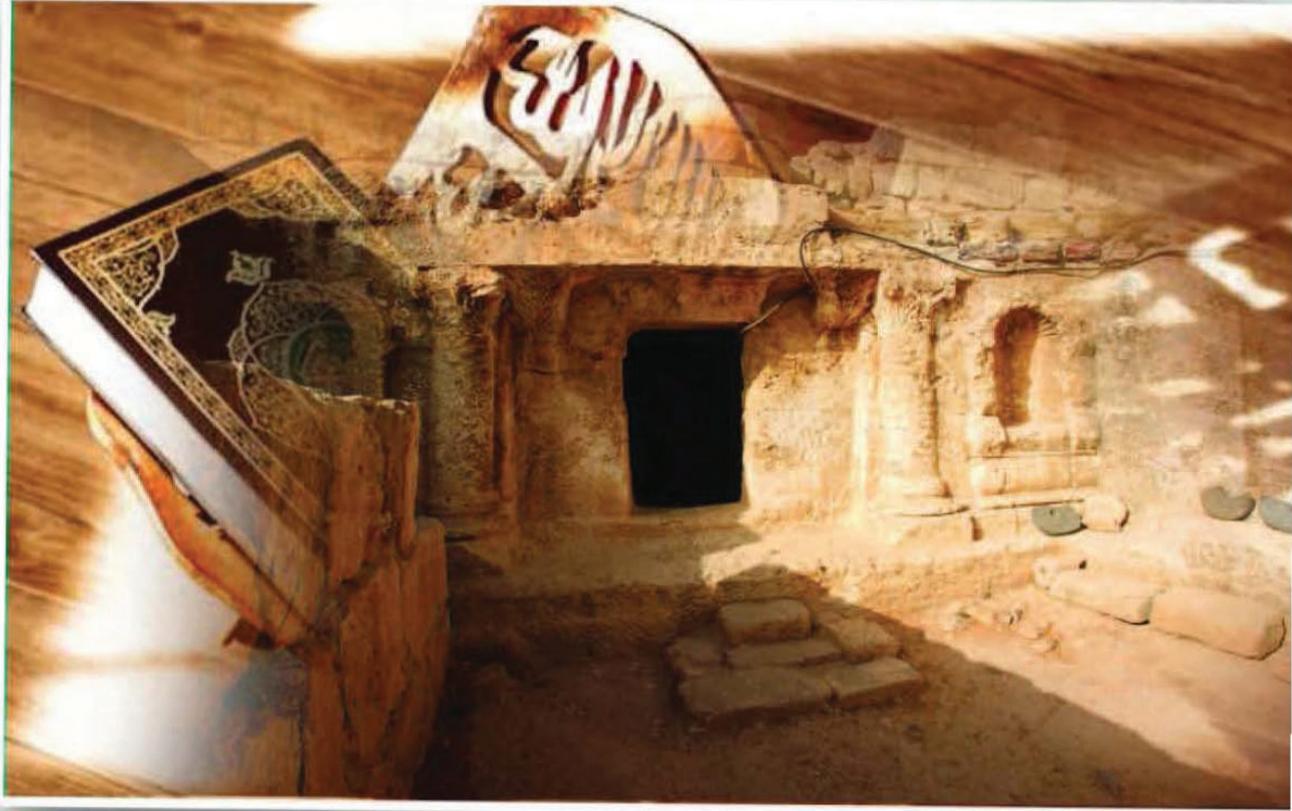


من قصص القرآن والسنة

قصة نبي الله داود عليه السلام

دروس وعبر



الشيخ الدكتور
أبو عبدالرحمن سمير بن أحمد الصباغ

من قصص القرآن والسنة
قصة نبي الله داود عليه السلام
دروس وعبر

كتبه الفقير إلى عفو ربه الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

غفر الله له وللمسلمين والمسلمات



حقوق الطبع مبنولة لعموم المسلمين

١٤٤٧ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

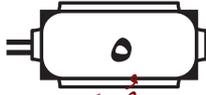
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي نبينا
محمد ﷺ، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في
النار.



مِنْ عَظِيمِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ
تَبَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِمَّا أَنْزَلَ فِي هَذَا الْوَحْيِ الْمُبَارِكِ قِصَصُ بَعْضِ
الْأَنْبِيَاءِ، وَالَّتِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا الْعِبْرَةَ وَالْعِظَةَ وَالْعِلْمَ النَّافِعَ لِأَوْلِي
الْأَلْبَابِ.

وَمِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ قِصَّةُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذَاكَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ
الْمُبَارَكُ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ، فَهُوَ الْعَبْدُ
الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ الْمَجَاهِدُ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ، وَالْعَابِدُ الذَّاكِرُ الْعَامِلُ الَّذِي لَا
يَفْتَرُ عَنِ الذِّكْرِ مَعَ كَثْرَةِ انشغاله بأعماله وفتوحاته ودعوته وجهاده
وصنعيته للدروع ووسائل الحرب والجهاد بيده، فكثرة أعماله
وأشغاله لم تشغله ولم تمنعه عن العبادة والذكر والدعوة والتعليم
والقضاء، وغير ذلك، وكان داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ خِيَارِ وَعِظَمَاءِ أَنْبِيَاءِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ، وَفِي قِصَّتِهِ مِنَ الدَّرُوسِ وَالْعُلُومِ وَالْأَحْكَامِ وَالْعِبَرِ الْكَثِيرِ،
فَفِيهِ فَوَائِدُ تَرْبُويَّةٌ وَعَقَدِيَّةٌ، وَسُلُوكِيَّةٌ، وَتَعْبُدِيَّةٌ، وَفِيهَا مِمَّا يَتَعَلَّقُ
بِعُلُومِ الْقَضَاءِ وَالسَّلْمِ وَالْحَرْبِ الْكَثِيرِ.





نبي الله داود عليه السلام

ونبي الله داود عليه السلام ممن أمر الله أن نقتدي بهم في قوله: {أُولَئِكَ

الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدْيِهِمْ أَقْتَدِهِ} [الأنعام: ٩٠]، وهذا ما نُلقِي عليه

الضوءَ بمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَشِيئَتِهِ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ القَصِيرَةِ المَوْجِزَةِ،

بِمَا وَرَدَ فِي القُرْآنِ العَزِيزِ وَالسُّنَةِ الشَّرِيفَةِ المَطْهَّرَةِ.

وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التَّوْفِيقُ وَالتَّكْلَانُ!

وَنَسْأَلُهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَعْلَمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا،

وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ

وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ!



مناقب داود عليه السلام

كان داود عليه السلام قبل نبوته عبداً صالحاً، عالماً، مجاهداً، مخلصاً، معروفاً بالقوة البدنية والدينية والعلمية، والصدق، والأمانة، ومكارم الأخلاق.

كان تابِعاً لنبِيِّه من بعد موسى، وجاهد مع الملك الصالح الذي اصطفاه الله للجهاد، وكان جندياً قوياً صادقاً مؤمناً مخلصاً؛ حتى إن الله تعالى قتل به رأس الكفر في زمنه جالوت - لعنه الله - وعلى إثرها كان النصر العظيم للمسلمين.

بعده أوحى الله لداود عليه السلام بالنبوة، وآتاه العلم والحكمة، وعلمه مما يشاء من علوم الدين والدنيا.

وكان كثير العبادَةِ لا يفتُر لسانه عن الذكر والتسبيح وقراءة الزبور مع كثرة أعماله وأشغاله، فكان يجمع بين الذكر والأعمال في وقت واحد، فقال الله عنه: {أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: ١٧]؛ أي: صاحب القوة على



مقارعة الأعداء، والصبر على طاعة الله، إنه كثير الرجوع إلى الله بالذكر والتوبة والعمل بما يرضيه.

وسخر الله معه الجبال والطير يسبحن معه في أول النهار وآخره.

ووهبه الله ملكاً وقوة وهيبةً وعلماً وحكماً وحكمةً وقضاءً وفصلاً في الخطاب.

داود عليه السلام قبل النبوة

كان داود عليه السلام قبل النبوة عبداً صالحاً، وجندياً مخلصاً، مجاهداً في سبيل الله؛ حتى قتل الله به رأس الكفر في زمنه، قال الله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ } وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنْتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ



أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُو بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُو مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ
يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ
مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنَّ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا
جَاوَزَهُو هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُو قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا
لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَأَنْصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ
جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُو مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ
اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ [البقرة: ٢٤٦-٢٥١].



ذَكَرَ اللهُ ﷻ قِصَّةَ الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ زَمَنِ نَبِيِّ اللهِ
 مُوسَى ﷺ؛ إِذْ طَلَبُوا مِنْ نَبِيِّ لَهُمْ أَنْ يُقِيمَ لَهُمْ مَلِكًا لِقِتَالِ عَدُوِّهِمْ
 الَّذِي نَهَبَ أَمْوَالَهُمْ وَسَبَى أَوْلَادَهُمْ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ، فَاخْتَارَ
 اللهُ لَهُمْ طَالُوتَ عَبْدًا صَالِحًا قَوِيًّا عَالِمًا، مَلِكًا عَلَيْهِمْ لِقِتَالِ عَدُوِّهِمْ.
 وَكَانَ مِنَ الْجُنُودِ الْمَخْلُصِينَ الصَّادِقِينَ الْأَقْوِيَاءِ دَاوُدَ ﷺ،
 وَكَانَ قَائِدُ الْكُفَّارِ جَالُوتَ لَعْنَهُ اللهُ، وَبَعْدَ أَنْ مَحَّصَ اللهُ صَفَّ أَهْلِ
 الْإِيمَانِ، وَالتَّقَى الصَّفَانِ، نَصَرَ اللهُ أَهْلَ طَاعَتِهِ، وَهَزَمَ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ،
 وَمَكَّنَ اللهُ لِدَاوُدَ بِقِتْلِ جَالُوتَ قَائِدِ الْكَافِرِينَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَكْرَمَ اللهُ
 دَاوُدَ ﷺ بِالنَّبُوءَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ بِبُرْكَتِهِ تَقْوَاهُ وَإِخْلَاصِهِ وَجِهَادِهِ فِي
 سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى.

فَجَمَعَ اللهُ لَهُ بَيْنَ مَا يُصْلِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، بَيْنَ قُوَّةِ الْبَدَنِ
 وَالْقَلْبِ وَالْعِلْمِ، قُوَّةِ الدُّنْيَا وَقُوَّةِ الدِّينِ.



نبيُّ الله داود عليه السلام في سورة «ص»

قال الله تعالى في سورة ص:

{أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ وَأَوَّابٌ
 ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ
 مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ وَأَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ
 الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ
 دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا
 عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ
 الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ
 فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ
 نَعَجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
 بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ
 دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّهٗ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ
 ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَآبٍ ﴿٢٥﴾ يٰدَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ
 خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ



فِيضِلُّكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ [ص: ١٧-٢٦].

معاني الكلمات:

{أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ}؛ أي: اصبر يا محمد على ما يقوله

هؤلاء الكفار المكذِّبون من إيذائهم لك باتِّهامهم لك بالكذب
والجنونِ والسَّحرِ والكهانةِ ونحو ذلك.

{وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ}؛ أي: اذكر داودَ بالذِّكرِ الحسنِ والثناءِ

الجميل؛ فإنه من خيرة الخلقِ.

{عَبْدَنَا دَاوُودَ}؛ نسبه الله إليه نسبةً تشریفٍ وتكريمٍ؛ لشدة

صلاحه وكثرة عبوديته لله.

{ذَا الْأَيْدِي}؛ أي: صاحب القوة على مقارعة الأعداء والصبرِ

على الطاعة والقوة في العبادة.

{إِنَّهٗ وَأَوَّابٌ}؛ أي: كثير التوبة والإنابة والعبودية لله تعالى.

{إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ وَيُسَبِّحُنَّ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ}؛ أي:

جعل الله الجبالَ تردُّدٌ معه التسبيحَ والذِّكرَ في أولِ النهارِ وفي آخره.



{وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهُ وَأَوَابٌ}؛ أي: الطير محبوسة في الهواء

مطبعة له تسبح معه تابعة له.

{وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ}؛ أي: قوينا ملكه بما وهبناه من الهيبة والقوة

والنصر على الأعداء.

{وَعَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ}؛ أي: النبوة والعلم.

{وَفَصَّلَ الْخِطَابِ}؛ الرأي السديد، والحكم الرشيد، والبيان

الشافى.

{وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخُصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ}؛ أي: هل

جاءك يا محمد خبر الخصمين المتخاصمين حينما دخلوا على

داود بغير استئذان، فأفزعوه بالدخول عليه حين تساوروا المحراب؛

حيث قفروا من فوق السور، ولم يدخلوا من الباب.

{فَفَزَعَ مِنْهُمْ}؛ هذا خوف فطري جبلي يحصل لأي إنسان.

{قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا

بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ}؛ أي: نعتذر عن



دخولنا بهذه الصورة الخاطئة، فنحن خصمان بيننا مشكلة^{١٤}
وخصومة نريد منك أن تقضي بيننا بالحق، وترشدنا إلى الصواب.

{إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ

أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}: عرض أحد الخصمين الدعوى

فقال: إن هذا الرجل أخي، وله تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة^{١٥}

واحدة، فطلب مني أن أعطيه إياها، وغلبني في الحجة، فتعجل نبي^{١٦}

الله داود^{١٧} في الحكم قبل أن يستمع للطرف الآخر، وقال: لقد

ظلمك أخوك حين سألك ضمّ نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيرا من

الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض بأخذ حق الغير وعدم

الإنصاف، إلا المؤمنين الصادقين المجتهدين في العمل الصالح؛

فإنهم لا يظلمون وهم قلة، ثم أيقن داود أنه تعجل في القضية،

وطلب من الله المغفرة وسجد لربه سجدة توبة وإنابة، فغفر الله له،

وجعل ذلك درساً لكل قاضٍ ومُحكّم؛ أنه لا يجوز له أن يقضي أو

يحكم في قضية إلا بعد سماع حجة الطرفين، وهذا كالنسيان الذي

يجريه الله على بعض أنبيائه تشريعاً لأممهم، فالأنبياء معصومون



فيما يبلغون عن الله؛ ولكن قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة البشرية من نسيانٍ أو غفلةٍ عن حكم؛ ولكن الله يتداركهم بلطفه، ولا يقربهم على غفلتهم أو نسيانهم.

{وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَابٍ}؛ أي: إنه عندنا من

المقربين، وله حسنُ المصير في الدنيا والآخرة.

{يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ} : تقومُ بسياسةِ الدين

والدنيا بتنفيذِ أحكامِ الله.

{فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ}؛ أي: اقضِ بينهم بالعدل.

{وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ} : في حُكْمِكَ بالميلِ لأحدِ الخصومِ أو

الحكمِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، فاتباعِ الهوى ضلالٌ عن سبيلِ اللهِ وعبوديةٌ

لغيرِ الله.

{إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا

يَوْمَ الْحِسَابِ}؛ أي: الذين ينحرفون عن دينِ اللهِ هم المُعذَّبون في

القيامة.



من فوائد هذه الآيات المباركات:

(١) فيها فضيلة الصبر، وأنه أمر الله تعالى، قال تعالى: {إِنَّمَا

يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠].

(٢) فيها فضل داود عليه السلام، وأن إضافته إلى الله إضافة تشریف

وتكريم: {عَبَدْنَا}؛ لأن العبودية عبوديتان: عامة وخاصة، فالعامة

هي عبودية جميع الخلق لخالقهم ورازقهم، شاؤوا أم أبوا، أما

العبودية الخاصة فهي عبودية أهل الإيمان لله سبحانه وتعالى الذين

رحمهم واختصهم لها.

(٣) وسبب ذكر داود للنبي محمد صلى الله عليه وسلم من الله تعالى في هذا

المقام هو وصيته له بالصبر على الأذى، وأن يجتهد في العبادة كما

كان داود عليه السلام، فيصلي كما صلى داود، ويصوم كما صام، ويقوم

كما قام.

(٤) معنى: {ذَا الْأَيْدِ} تأتي بمعنى القوة والشدة في القتال

والطاعة. و«ذا الأيد»؛ أي: النعم والفضل من الله تعالى.



(٥) {إِنَّهُ وَأَوَّابٌ}؛ أي: رجَّاعٌ إلى الله، يُكثِرُ من الذكرِ

والتسبيح، كثيرُ الصَّلَاةِ، خاشعٌ مستغفرٌ.

(٦) جميعُ المخلوقات تسبِّحُ اللهَ وتسجدُ له إلا عُصَاةَ الإنسِ

والجنِّ، فالحصى من الرملِ والصخرِ يسبِّحُ اللهَ تعالى بالعشيِّ

والإشراقِ، وذلك مصداقُ قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ

بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُوَ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾}

[الإسراء: ٤٤].

فالشجرُ بظله يسجدُ لله تعالى: {يَتَفَيَّؤُا ظِلُّهُ وَعَنِ الِّمِينِ

وَالشَّمَايِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾} [النحل: ٤٨].

والحجرُ كان يُسَلِّمُ على النبيِّ محمدٍ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا

بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»^(١).

والجذعُ حنَّ وبكى لفراقِ النبيِّ ﷺ^(٢).

والطعامُ سبَّحَ في يده ﷺ^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٣٣٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).



والحصى سبَّحَ في يدِ رسولِ الله ﷺ (١).

والشجرةُ أجابت نداءَ رسولِ الله ﷺ (٢).

قال سبحانه: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا

مُتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ [الحشر: ٢١].

وقال تعالى: {وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ

مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ

اللَّهِ ﴿٧٤﴾ [البقرة: ٧٤].

وقال تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا

إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ

هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

وقال تعالى: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ [الرحمن: ٦].

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١١٤٦).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٩١٨٩).



وقال تعالى: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ

فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴿١٣﴾ [الرعد: ١٣].

وقال تعالى: {قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾}.

[الأنبياء: ٦٩]، وقال تعالى: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي

﴿٤٤﴾ [هود: ٤٤]، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ

وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ

يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج: ١٨].

وقال تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ

دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل: ٤٩-٥٠].

وقال تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا

وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ [الرعد: ١٥].



(٧) {وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً}؛ أي: مجموعةً ومسبحةً ومُرْجَعَةً في

منظرٍ عجيبٍ ومشهدٍ مهيبٍ حول نبيِّ الله داود عليه السلام، تُرَدُّ معه التسييح والتحميد والتهليل، وكذلك الجبال.

(٨) تحسينُ الصوتِ في قراءةِ القرآنِ وترتيله، فكان نبيُّ الله

داود عليه السلام من أحسنِ الناسِ صوتًا في قراءةِ الزبور، وكانت الطيورُ والجبالُ والإنسُ والجنُّ تستمعُ وتستمعُ بسمعِ صوتهِ لقراءتهِ كتابَ الله الزبور، وقد حثَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على تحسينِ الصوتِ في قراءةِ القرآنِ، فقال فيما روى أحمدٌ وغيره: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»^(٢).

وكان صلى الله عليه وسلم يحبُّ سماعه من أصحابه من ذوي الصوتِ الحسنِ،

كسماعِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم لقراءةِ أبي موسى لِحُسْنِ صوتهِ، وقوله له: «يَا أَبَا

(١) أخرجه أحمد (١٨٤٩٤)، وأبو داود (١٤٦٨)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٢٧).



مُوسَى، لَقَدْ أُوتِيَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ^(١)، وسماعه من ابن مسعود^(٢).

(٩) {كُلُّ لَهْوٍ وَأَوَّابٍ}؛ أي: مطيعٌ ومسبحٌ ومرجعٌ ومرددٌ.

(١٠) {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ}؛ أي: قويناه، وذلك كما قال العلماء:

«بالجنودِ والهيبةِ في الناسٍ»، وذكر ابن عباسٍ سببها وهي كالاتي:

روى الإمام الطبري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَعْدَى عَلَى رَجُلٍ مِنْ عَظَمَائِهِمْ،

فاجتمعوا عند داود النبي صلى الله عليه وسلم فقال المستعدي: إن هذا اغتصبني بقرا

لي، فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده، فسأل الآخر البيئته، فلم

يكن له بيئته، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما؛ فقاما من

عنده، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي استعدي

عليه، فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى أثبت، فأوحى الله إلى

داود في منامه مرة أخرى أن يقتل الرجل، وأوحى الله إليه الثالثة أن

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨٣)، ومسلم (١٨١٧).



يَقْتُلُهُ أَوْ تَأْتِيهِ الْعُقُوبَةُ مِنْ اللَّهِ، فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى الرَّجُلِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ
أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَقْتَلَكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: تَقْتُلُنِي بغيرِ بَيِّنَةٍ وَلَا تُثَبِّتِ؟ فَقَالَ
لَهُ دَاوُدُ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَا نُفِذَنَّ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ؛ فَلَمَّا عَرَفَ الرَّجُلُ أَنَّهُ قَاتِلُهُ،
قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ حَتَّى أَخْبِرَكَ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُ بِهَذَا الذَّنْبِ،
وَلَكِنِّي كُنْتُ اغْتَلْتُ وَالِدَ هَذَا فَقَتَلْتُهُ، فَبِذَلِكَ قَتَلْتُ، فَأَمَرَ بِهِ دَاوُدُ
فَقَتَلَ، فَاشْتَدَّتْ هَيْبَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ ذَلِكَ لِدَاوُدَ، وَشَدَّدَ بِهِ مُلْكَهُ،
فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: {وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ} (١).

هذا وقد أتى الله محمداً الهيبة والمهابة بحظ وافر، قال
رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» (٢)؛ أي: يُهْزَمُ الْعَدُوُّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ؛ بسبب المهابة
والخوفِ منهم.

(١١) {وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ وَوَعَاتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ}: فمع قوة ملكه

وشدته إلا أن الله منَّ عليه بالحكمة في كلِّ شيءٍ.

(١) تفسير الطبري (٤٧/٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).



(١٢) {وَفَصَّلَ الْخُطَابِ}؛ أي: كلامًا قليلًا معدودًا مفصلاً كما

أوتي النبي محمد ﷺ جوامع الكلم.

وقيل: فصل الخطاب؛ أي: القضاء بين الناس.

وقيل: «أما بعد» يفصل بها بين المقدمة والموضوع.

ولذا نهى النبي ﷺ عن كثرة الكلام، ونهى عن: قيل وقال،

وكثرة السؤال^(١)؛ أي: فيما لا يعني.

(١٣) {خَصْمَانِ}: رجلان من بنى آدم لهما قضية.

(١٤) {فَفَزَعَ مِنْهُمْ}؛ وهل يفرع الأنبياء ويخافون؟

الجواب: أن هذا فرع جبلي، وخوف جبلي، وقد يحصل

لأهل الصلاح والأنبياء، كما فرع موسى ﷺ: {فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَتَّرُ

كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَىٰ مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ

الْأَمِينِ ﴿٣١﴾ [القصص: ٣١]، {وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾}

[الشعراء: ١٤]، وقال يعقوب ﷺ: {وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الدِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (١٧١٥).



غَفِلُونَ ﴿١٣﴾ [يوسف: ١٣]، وفزع موسى ﷺ لدخول ملك الموت على

هيئة آدمي، ففقاً عينه، كما هو ثابت في الحديث الصحيح^(١).

فلا حرج في مثل هذا الخوف؛ لأنه فطري جبلي.

(١٥) يحرم على المسلم أن يروّع مسلماً أبداً؛ لنهي النبي ﷺ

عن ذلك، وإذا حدث ما يروّع وجب عليه أن يطمئن أخاه، وأن

يذهب عنه الروع والخوف، ولذلك قال الخصمان لداود: {لَا

تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ}.

ولما خافت مريم من جبريل ﷺ وقالت: {إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ

مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ [مريم: ١٨]، قال مهدئاً لها: {إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ

رَبِّكَ لِأَهَبَ لِكَ غُلَمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ [مريم: ١٩].

ولما دخلها الرعب والهلع والخوف بالمخاض والولادة

وتمنت الموت: {فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ

تَحْتِكَ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ [مريم: ٢٤].

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٦٢٢٤).



ولما خاف إبراهيم عليه السلام من الملائكة الذين دخلوا عليه بهيئة بشر: { فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ^ط قَالُوا لَا تَخَفْ ^ط وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ

{ ٢٨ } [الذاريات: ٢٨].

وطمأنت الملائكة لوطاً عليه السلام في اليوم العصيب: { إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ } [هود: ٨١].

روى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى بسند صحيح، قال: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبَلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَرَعَ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ ﷺ: «مَا يُضْحِكُكُمْ؟». فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنَا أَخَذْنَا نَبَلَ هَذَا فَفَرَغَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرَوَّعَ مُسْلِمًا»^(١).

(١) أخرجه أحمد (٢٣٠٦٤)، وأبو داود (٥٠٠٤).



وروى مسلمٌ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «مَنْ أَسَارَ إِلَى
أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ؛ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ
وَأُمَّهُ»^(١).

وروى أحمدٌ عن النبي ﷺ: «لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ صَاحِبِهِ
جَادًّا وَلَا لَاعِبًا، وَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ عَصَا صَاحِبِهِ فَلْيَرُدُّهَا عَلَيْهِ»^(٢).

(١٦) لم يبدأ داود ﷺ في سماع الخصوم والقضية إلا بعد أن
ذهبَ عنه الرَّوْعُ والفَزَعُ، وهذا من أدب القضاء، فلا يقضي القاضي
وهو خائفٌ فزَعٌ، ولا يقضي القاضي وهو جوعانٌ، ولا وهو
غضبانٌ، أو يتألمٌ من وجعٍ أو مرضٍ.

(١٧) جوازُ تذكيرِ القاضي ونصيحتِهِ بالحكمةِ والموعظةِ
الحسنةِ بأن يقضي بالحقِّ، {فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ}.

(١٩) وكذلك يجوزُ للقاضي أن يُذكَرَ الخصومَ باللهِ ويحثُّهم

على خشيتِهِ ومراقبتِهِ، ومن ذلك:

(١) أخرجه مسلم (٢٦١٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٩٤٠).



ما رواه الشيخان عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ» ^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ» ^(٢).

(٢٠) جواز تعريف الخصم بخصمه أمام القاضي قال: {إِنَّ

هَذَا أَخِي}.

(٢١) أنه لم يكفر أخاه بارتكابه لمظلمته، ولم ينف عنه أخوة الإسلام والإيمان، فالأخوة الإيمانية لا تنقطع بالخصومات بين المسلمين، ولا تكفر مسلماً بذنوبه أبداً ما لم يستحلّه، وقال الله في مسألة القتل: {فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ

^(١) أخرجه البخاري (٦٩٦٧)، ومسلم (١٧١٣).

^(٢) أخرجه البخاري (٤٧٤٧)، ومسلم (١٤٩٣).



نبي الله داود عليه السلام

وَأَدَّاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴿١٧٨﴾ [البقرة: ١٧٨]، فمع كونه مرتكب الجناية قتل

ولكن الله لم ينف عنه أخوة الإيمان، ولم يكفره.

(٢٢) وفيه أن المخاصم يتقي الله في خصمه، ولا يفجر، ولا

يكون كمن إذا خاصم فجر، فهذا خصم يقول عن خصمه متأدباً:

{إِنَّ هَذَا أَخِي}.

فكثير من الناس إذا خاصموا لا يرقبون في مؤمن عهداً، ولا

قرايةً، ولا رحماً، ولا نسباً، ولا ديناً.

(٢٣) أن النعاج الواردة في الآيات هي نعاج على حقيقتها، ولا

يجوز القول بأنها نساء، ولا يجوز القول بما جاء في الإسرائيليات:

بأن امرأة حسناء كانت لجندي عند داود فأعجبته، فأرسل الجندي

للجهاد؛ ليقتل ويستأثر هو بالمرأة، فهذا لا يجوز في حق الأنبياء، أو

كما قالوا: إنه أمر زوجها بطلاقها؛ ليتزوجها هو.

فكل ذلك كذب وبهتان.



(٢٤) كثيرٌ من الناسِ يبدؤون تجارتهم وشركاتهم واستثماراتهم على الاستقامة والصلاح، ثم إذا فتح الله عليهم ووسّع لهم وقعت الخيانات والضعائن بينهم، وقليلٌ من ينجو.

(٢٥) أهلُ الالتزام والصلاح قلةٌ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، قال الله تعالى: **{إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ}**، وقال تعالى: **{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ}** [سبأ:١٣]، وقال تعالى: **{مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}** [آل عمران:١١٠]، وقال تعالى: **{وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ}** [هود:٤٠]، وقال تعالى: **{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}** [يوسف:١٠٣].

(٢٦) وجوبُ التَّائِبِ في الحكمِ بين الناسِ، فقد تعجَّلَ داودُ عليه السلام في الحكمِ في القضيةِ قبلَ سماعِ الخصمِ الآخرِ، فعتبَ اللهُ عليه، فخرَّ ساجدًا وتائبًا لربِّه من هذا التعجُّلِ.

(٢٧) اليهودُ يطعنون في نبيِّ الله داودَ عليه السلام بنسبةِ الإسرائيلياتِ المكذوبةِ إليه، وذلك لأن عيسى من ذرِّيَّته، فهم يطعنون في داود؛ ليجدوا سبيلًا إلى الطعنِ في عيسى عليه السلام.



قال البرهان البقاعي في «تفسيره»:

«وأخبرني بعض مَنْ أسلمَ منهم أنهم يتعمّدون ذلك في حقِّ

داودَ عليه السلام؛ لأن عيسى من ذرّيته؛ ليجدوا سبيلاً إلى الطعن فيه ^(١). اهـ.

(٢٨) { وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ } : الفتنةُ أنه قضى بين الخصميين

قبل أن يستمعَ إلى حُجّةِ الآخرِ.

(٢٩) { فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } : فيه وجوبُ التوبةِ

من الذنبِ، صغيراً كان أو كبيراً.

(٣٠) { فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكْ } ^ص : فيه أن العبدَ إذا تاب إلى الله تاب

اللهُ عليه.

(٣١) أن الشخصَ لا يعيرُ بذنبه إذا تاب إلى الله، وبخاصة إذا

تاب اللهُ عليه، وغفر له.

(٣٢) الحكمُ بالحقِّ فرضٌ عينٌ على كلِّ خليفةٍ وحاكمٍ وقاضٍ

ومُحكّمٍ.

(١) انظر: نظم الدرر (١٦ / ٣٦٢).



(٣٣) النهي عن اتباع الهوى؛ فاتباع الهوى ضلالٌ عن سبيلِ الله، وما ذُكر الهوى في القرآن إلا على سبيلِ الذمِّ؛ لأنه إلهٌ يعبدُه أهلُه من دونِ الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾}

[الجاثية: ٢٣].

(٣٤) وَيُشْرَعُ السُّجُودُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَوَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ}؛ لما روى البخاريُّ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: «(ص) لَيْسَ مِنْ عَزَائِمِ السُّجُودِ، وَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْجُدُ فِيهَا»^(١).

وروى البخاريُّ عن مجاهدٍ، قال: سألتُ ابنَ عباسٍ: مِنْ أَيْنَ سَجَدْتَ؟ فَقَالَ: أَوْ مَا تَقْرَأُ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ

(١) أخرجه البخاري (١٠٦٩، ٣٤٢٢).



اقتدِه} [الأنعام: ٩٠]، فَكَانَ دَاوُدُ مِمَّنْ أَمَرَ نَبِيكُمْ ﷺ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ،
فَسَجَدَهَا دَاوُدُ ﷺ، فَسَجَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١).

روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ فِي (ص)
وَقَالَ: «سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً، وَنَسَجَدَهَا شُكْرًا» (٢).

وروى أبو داود بإسنادٍ صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي
الله عنه، قال: قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر (ص)، فلما بلغ
السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه، فلما كان يوم آخر قرأها،
فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود، فقال النبي ﷺ: «إنما هي
توبة نبي؛ ولكني رأيتم تشزنتم للسجود»، فنزل فسجد
وسجدوا (٣).

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه: أنه رأى رؤيا
أنه يكتب (ص)، فلما بلغ إلى سجدها قال: رأى الدواة والقلم،

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٧).

(٢) أخرجه النسائي (٩٥٧).

(٣) أخرجه أبو داود (١٤١٠).



وَكُلُّ شَيْءٍ بِحَضْرَتِهِ انْقَلَبَ سَاجِدًا، قَالَ: فَقَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْجُدُ بِهَا بَعْدُ^(١).

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي أَصْلِي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ، فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وَزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ. قَالَ الْحَسَنُ: قَالَ لِي ابْنُ جَرِيحٍ، قَالَ لِي جَدُّكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ سَجْدَةً، ثُمَّ سَجَدَ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنِ قَوْلِ الشَّجَرَةِ^(٢).

(٣٥) {إِنَّهُ أَوَّابٌ}: تَوَابٌ رَجَّاعٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ

وَالذِّكْرِ وَالِدَعَاءِ.

(١) أخرجه أحمد (١١٧٤١).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٧٩).



وذلك فيه أن المسلم يكون دائماً الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله تعالى، كما كان حال النبي محمد ﷺ؛ حيث قال: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(١).

وفي رواية: «إني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة»^(٢).

(٣٦) {يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ} (ص: ١٨)، كما قال

سبحانه وتعالى: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ

الْغُرُوبِ} (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ} (٤٠) [ق: ٣٩-٤٠]، فيه

معرفة وقت الأذكار في الصباح والمساء.

وقال بعض العلماء: إن الإشراق هو وقت الضحى وصلاة

الضحى، وقد بين النبي ﷺ فضلها في أحاديث كثيرة.

(٣٧) عدم جواز دخول البيوت بغير استئذان، وجواز فقء

عين الناظر بغير إذن كما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ، قال:

«مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَوْا عَيْنَهُ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢).



(٣٨) وجوب الحكم بالحق وبالعدل بين الناس.

(٣٩) لا يحكم الحاكم بعلمه؛ لأن النبي ﷺ اشترى فرساً،

فجحدته البائع، فلم يحكم عليه بعلمه وإنما قال: «مَنْ يَشْهَدُ لِي؟»

فقام خزيمة بن ثابت رضي الله عنه فشهد فحكم^(١).

وقال أبو بكر رضي الله عنه: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا عَلَى حَدٍّ مِنْ حُدُودِ

اللَّهِ مَا أَخَذْتُهُ، وَلَا دَعَوْتُ لَهُ أَحَدًا حَتَّى يَكُونَ مَعِيَ غَيْرِي^(٢).

- وَرُوِيَ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ لَهُ:

احْكَمْ لِي عَلَى فَلَانٍ بَكْذَا؛ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ مَا لِي عِنْدَهُ. فَقَالَ لَهَا: إِنْ

أَرَدْتُ أَنْ أَشْهَدَ لَكَ فَنَعَمْ، وَأَمَّا الْحَكْمُ فَلَا.

(٤٠) وجوب التأدب مع أهل العلم والحكم والقضاء،

ووجوب الاستئذان قبل الدخول عليهم.

(١) أخرجه مسلم (٢١٥٨). وانظر: صحيح البخاري (٦٩٠٠، ٦٩٠٣).

(٢) أخرجه أبو دواد (٣٦٠٧).

(٣) انظر: مكارم الأخلاق للخرائطي (٤٣١).



نبي الله داود عليه السلام في سورة سبأ

قال الله تعالى في سورة سبأ:

{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا^ط يَجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ^ط وَالطَّيْرَ^ط
وَأَلْنَا لَهُ^ط الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ^ط وَأَعْمَلُوا^ط
صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾} [سبأ: ١٠-١١].

من معاني الآيات:

{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا^ط} ؛ أي: أعطيناه ووهبناه النبوة

والمُلك.

{يَجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ^ط وَالطَّيْرَ^ط} ؛ أي: قلنا للجبال والطير: سبّحي

مع داود.

{وَأَلْنَا لَهُ^ط الْحَدِيدَ} ؛ أي: جعلناه لينا في يده، يصنع منه ما يشاء

من أدوات نافلة للدين والدنيا.

{أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ} ؛ أي: اعمل يا داود دروعاً واسعة تقي

مقاتليك بأس عدوهم.



{وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ}: صَيْرَ الْمَسَامِيرَ مَنَاسِبَةً لِلْحَلِيقِ، فَلَا تَجْعَلْهَا

دَقِيقَةً بَحِيثًا لَا تَسْتَقِرُّ، وَأَحْكِمِ الصُّنْعَ بِإِتْقَانٍ.

{وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}: أَي: اجْتَهِدُوا فِي

الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِنِّي عَلِيمٌ بِأَعْمَالِكُمْ، بَصِيرٌ بِأَحْوَالِكُمْ، لَا تَخْفَى عَلَيَّ خَافِيَةٌ، وَمُجَازِيكُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِكُمْ وَنِيَّاتِ قُلُوبِكُمْ.

من فوائد هذه الآيات الكريمة:

- أمر الله داودَ أن يعملَ الدروعَ السابغاتِ التي تتقى بها سهامَ

العدوِّ، فأمره بعملٍ نافعٍ هو عملٌ دنيويٌّ؛ ولكنَّه نافعٌ لدينه ودنياه،

يتكسَّبُ منه كسبًا حلالًا، ويدفعُ به عن دينه وعرضه وماله كيدَ

الكائدين وكفرَ الكافرين، وشرطُ ذلك أن يكونَ عملاً مشروعًا،

وبناءً على ذلك فلا ينبغي للعبدِ أن يعملَ في أعمالٍ لا طائلَ ولا نفعَ

من ورائها، فهؤلاء الذين يتاجرون في تجاراتٍ محرَّمةٍ أو تجاراتٍ

لا نفعَ فيها كالأغاني والموسيقى وملابس التبرجِّ والمخدَّراتِ

والدُّخانِ والألعابِ غيرِ المشروعةِ ونحوِ ذلك؛ أعمالهم لا نفعَ



فيها؛ بل ضررٌ عليهم وعلى الآخرين، فليَتَّقُوا اللهَ في أعمالهم وفي مجتمع المسلمين.

- أمر الله داود عليه السلام أن يُتِقِنَ عَمَلَهُ، فقال: { وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ }؛

أي: الدقة في العمل، ولذا قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتِقِنَهُ»^(١).

- عندما أمره بعمل الدنيا والكسبِ ذكَّره وأمره بعمل الآخرة

وأمرها، فقال: { وَأَعْمَلُوا صَالِحًا }؛ أي: وأقبلوا على الله بالأعمالِ

الصالحة كالصلاة ونحوها، فلا تَشْغَلَنَّكُمْ الدنيا وأعمالها عن أمورِ

العبادات التي افترضها الله عليكم وأمركم بها.

وفي ذلك ردٌّ على الذين يتركون الصلاة وغيرها من العباداتِ

ويقولون: «العمل عبادة».

وكان نبيُّ الله داود عليه السلام من أعبدِ الناسِ لله ربِّ العالمين؛ حتى

أثنى النبيُّ محمد صلى الله عليه وسلم على عبادته خيرًا، وبين أنها أفضلُ العبادةِ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في الشعب (٤٩٢٩).



وخيرها، فصلاته أحسن الصلاة، وقيامه أحسن القيام، وصيامه أحسن الصيام، وقراءته أحسن القراءة.

وذلك فيما روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا»^(١).

وفي رواية: «فَصُمَّ يَوْمًا وَأَفْطِرَ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ، وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ»، قال عبد الله بن عمرو: إِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ^(١) قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»^(٢).

^(١) أخرجه البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

^(٢) أخرجه البخاري (٣٤١٨)، ومسلم (١١٥٩).



وهذه بركة من الله في وقت داود عليه السلام، ولذا قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وفي الحديث أن البركة قد تقع في الزمن اليسير؛ حتى يقع فيه العمل الكثير^(٣).

فلا بد للمسلم من عمل يُقيم به دنياه؛ حتى لا يكون كلاً على الناس، وليجعل الآخرة غاية ومبتغاه، فهي أهم الأمور، ولها خلق الله الثقلين، ومن هذا أن الله أمر الناس أن يلبسوا في دنياهم أحسن اللباس الذي يستترون به، ثم ذكّرهم بلباس خير منه، فقال تعالى: {يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف: ٣٦]، فتعمير القلوب بالتقوى هو الفرض الأساسي.

(١) المراد بالقرآن هنا كتابه المنزل عليه؛ وهو الزبور.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١٧).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٤٥٥/٦).



وَمِنْ ذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ أَنْ يَتَزَوَّدُوا لِدُنْيَاهُمْ، وَأَمْرَهُمْ بِالْحِفَافِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَهُمْ بِالزَّادِ الْأَهْمِّ الَّذِي خُلِقَ الْعِبَادُ لِأَجْلِهِ؛ وَهُوَ زَادُ التَّقْوَى، فَقَالَ تَعَالَى: {وَتَزَوَّدُوا

فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَتَقْوَى يَأْتُونَ بِهَا لَبِيبٌ ﴿١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧].

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِخِدْمَةِ الْجِنِّ وَتَسْخِيرِهِمْ لَهُ: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ} [سبأ: ١٣]، ثُمَّ ذَكَرَ سُلَيْمَانَ بِتَقْدِيمِ شُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ فَقَالَ تَعَالَى: {أَعْمَلُوا آءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ} [سبأ: ١٣].

وَلِذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: ٩].

وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَفِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ، وَبَعْدَ الْفِرَاقِ مِنْهَا، وَفِي أَثْنَائِهَا وَقَبْلِهَا.



روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشة رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»^(١).

قال الله تعالى لذكر يا ﷺ: {عَايَتِكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا قُل} [آل عمران: ٤١] ومع أنه ممنوعٌ من كلامِ الناسِ إلا أن الله أمره بِذِكْرِهِ سبحانه فقال: {وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ} [آل عمران: ٤١].

قال الله تعالى للمقاتلين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥]، فمع ما هم فيه من البأسِ والقتالِ والانشغالِ بمدافعةِ العدوِّ، إلا أن الله تعالى أمرهم بِذِكْرِهِ، فقال: {وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥].

ولما طلبَ موسى عليه السلام من الله أن يؤيِّده بأخيه هارونَ علَّلَ ذلك بأن يكونَ عونًا له على ذكرِ الله تعالى، فقال: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٢٦ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ٢٧ يَفْقَهُوا

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٢٩)، ومسلم (٣٧٣).



قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ
أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ {طه: ٢٥-٣٥}.

ولذا قال الله تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا

كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ {الأحزاب: ٤١-٤٢}، وقال:

{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾} {البقرة: ١٥٢}،

وقال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا

اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾} {الأحزاب: ٢١}.

وقال: {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} {الرعد: ٢٨}.

وقال سبحانه: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم

مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾} {الأحزاب: ٣٥}.



وكان النبي محمد ﷺ يقول بعد صلاة الفجر مستفتحاً يومه محدداً هدفه في يومه: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً»^(١).

- أن الفضل كله من الله وبإيد الله: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِءَ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} [يونس: ٥٨]، {ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا} [النساء: ٧٠]، {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد: ٢١].

- أن داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده، مع أنه كان خليفة في الأرض وحاكماً وقاضياً وإماماً للناس، قال الله تعالى: {وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ} [١٠] {أَنْ أَعْمَلَ سَبِغْتِ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [سبأ: ١٠-١١].

وقال النبي ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»^(٢).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٢٦٥)، وأحمد (٢٦٦٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٧٢).



وفي الحديث السابق في الصحيح: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»^(١).

والذي يأكل من عمل يده تكون يده هي العليا، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»^(٢).

ولذا كان دأبُ الأنبياءِ والصالحين أن يأكلوا من عمل أيديهم: فمنهم من كان يرعى الغنم؛ بل كلُّ نبيٍّ رعى الغنم، روى البخاريُّ عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»^(٣).

ومن الأنبياءِ من كان يعملُ نجَّارًا كنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، روى مسلمٌ عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا»^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٦٢).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٧٩).



وقال تعالى عن نوح: {وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا ﴿٣٧﴾}

[هود:٣٧]، وقال: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ

سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ

{ ٣٨ } [هود:٣٨].

وكلُّ كان يبيعُ ويشترى، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ

الرُّسُلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا

بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢١﴾} [الفرقان:٢٠].

وهذا نبيُّ الله إسماعيلُ عليه السلام يسألُ عنه إبراهيمُ عليه السلام، فتُخبره

الزوجةُ بأنه ذهبَ يعملُ ويتكسبُ.

فليس عارًا أن يكونَ الإنسانُ سبَّاكًا أو نجارًا...، وهو رجلٌ

صالحٌ ينفَعُ اللهُ به.

وهؤلاءِ أصحابُ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فمنهم التاجرُ كأبي بكرٍ

الصديقِ رضي الله عنه وعبدُ الرحمنِ بنِ عوفٍ رضي الله عنه، ومنهم الذي يحملُ على

ظهره كأبي مسعودٍ البدرِيِّ رضي الله عنه، ومنهم المزارعُ كالأنصارِ، ومنهم

الحدادُ كخبَّابِ بنِ الأرتِّ رضي الله عنه، ومنهم الخادمُ كأنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه،



كان يخدمُ النبي ﷺ وكان يخدمُ أبا عبيدةَ وطلحةَ، وهذا عمرُ ﷺ يعملُ يوماً ويطلبُ العلمَ يوماً، ويتناوبُ هو وصاحبُ له بين الكسبِ وطلبِ العلمِ من رسولِ الله ﷺ.

فالعارُ أن يكونَ عاطلاً سائلاً للناسِ أو متكبراً على خلقِ الله أو مدّعياً للعلمِ ساخرًا من الملتزمين أصحابِ الأعمالِ والتجاراتِ من أهلِ السنّةِ كحالِ البعضِ ممن يرون أن الدينَ حكرٌ عليهم، وأنهم أهلُهُ فحسب، وكثيرٌ ممن يدّعي ذلك تجده لا علمَ له!

ولذا روى البخاريُّ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ»^(١).

وروى البخاريُّ من حديثِ الزبيرِ بنِ العوامِ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ،

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٠).



فَيَبِيعَهَا، فَيَكْفُ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ: خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»^(١).

- في ذلك جوازٌ - وأحياناً يجب - عملِ القمصانِ الواقيةِ من الرِّصاصِ ونحوه للحكامِ والرؤساءِ لوقايتهم وحمايتهم من الطلقاتِ الناريةِ ونحوها؛ وذلك لأنَّ الله قال لداودَ ﷺ: {أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَاتٍ}، وهي الدروعُ السابغةُ الواسعةُ الطويلةُ التي يتقي بها مَنْ يلبسها سهامَ العدوِّ ونبله.

- أن الذي علّمَ داودَ ذلك هو الله وحده؛ حيث قال: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} [الأنبياء: ٨٠]، وكما قال الله تعالى: {وَعَاتَنَاهُ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ وَمِمَّا يَشَاءُ} [البقرة: ٢٥١].

- وجوبُ شكرِ النعم؛ لقولِ الله تعالى: {أَعْمَلُوا آيَاتِ دَاوُدَ شُكْرًا} [سبأ: ١٣]، ولقوله تعالى: {فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} [الأنبياء: ٨٠].

(١) أخرجه البخاري (١٤٧١).

- من معجزات داود عليه السلام أن الله ألان له الحديد يشكّله كيف يشاء من غير نارٍ ولا مطرقةٍ ولا غير ذلك، وهي معجزة لم يؤتها الله غير داود عليه السلام.

- في ذلك فضيلةٌ تعلم أهل الفضل والعلم الصنائع والحرف والتكسب بها، وأن ذلك لا ينقص من قدرهم؛ بل يزيد في قدرهم وفضلهم، وليس هناك أفضل من أنبياء الله ورسله الذين تعلموا ذلك وعملوا به، قال الإمام القرطبي رحمته الله عند تفسير الآية: {وَأَلَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ} [سبأ: ١٠]: في هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع، وأن التحرف بها لا ينقص من مناصبهم؛ بل زيادة في فضلهم وفضائلهم؛ إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم وكسب الحلال الخلي عن الامتنان^(١). اهـ.

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٤/٢٦٧).



نبي الله داود عليه السلام في سورة الأنبياء والحكم في قضية الحرث والغنم

قال الله تعالى في سورة الأنبياء:

{وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ
الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا
حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا
فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾} [الأنبياء: ٧٨-٨٠].

شرح الآيات:

أي: واذكر أيها الرسول قصة داود وابنه سليمان عليهما السلام؛ إذ يحكمان في قضية رُفعت إليهما بشأن خصمين، لأحدهما غنم انتشرت ليلًا في حرث الآخر فأفسدته، وكنا لحكم داود وسليمان شاهدين، لم يغب عنا من حكمهما شيء، فهّمنا القضية على الوجه الصحيح الذي فيه مصلحة الطرفين سليمان دون أبيه داود، وكلًا منهما أعطينا وهبناه الحكم والنبوة والعلم. وطوّعنا مع داود الجبال والطير يسبحن بتسبيحه.



{وَكُنَّا فَاعِلِينَ} ؛ أي: لكل هذه النعم من نبوةٍ وعلمٍ وحكمٍ

وفهمٍ وتسخيرٍ وغير ذلك.

{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ

أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} ؛ أي: وعلمنا داود عليه السلام صناعة الدروع لتحميكم من

فتك سلاح العدو بأجسامكم، فهل أنتم شاكرون لله على نعمه التي

امتنَّ عليكم بها؟ أي: اشكروا الله على نعمه؛ ليزيدكم من فضله.

{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا

فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ [الأنبياء: ٨١].

وطوعنا لسليمان عليه السلام الريح تجري بأمره إلى الأرض المباركة

أرض الشام؛ حيث بيت المقدس مهبط الوحي ومبعث الأنبياء

وقبلتهم، فهي أرض مباركة حسياً ومعنوياً، بكثرة الخير والثمر،

ولبركة فيها لكونها مهبط الوحي، وكنا بكل شيء عالمين، ولا

يخفى علينا شيء من ذلك.

{وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغُوضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ

وَكَنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ [الأنبياء: ٨٢].



وكذلك سخرنا لسليمان عليه السلام من الشياطين مَنْ يستخرجون له
الآلئَ وغيرها، ويعملون غير ذلك من الأعمال كالبناء ونحوه،
وكنا لإعدادهم وأعمالهم حافظين لا يفوتنا شيءٌ من ذلك، ولا
يخفى علينا.

من فوائد الآيات:

- (١) لا نعلم نوع الحرث، والعلم به كالجهد به، ولا نتكلف
البحث عنه؛ إذ لا دليل عن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّنه.
- (٢) النفس هو الدخول ليلاً؛ وهو الرعي ليلاً بلا راع،
والهمل: هو الرعي نهاراً بلا راع.
- (٣) أن الفهم والعلم والذكاء والتوفيق من الله الواحد الأحد
الفرد الصمد.

- (٤) حاصل القصة على حسب ما ذكره بعض أهل العلم أن
غنم قوم نزلت في حرث قوم بالليل فأهلكته، فقضى نبي الله داود
عليه السلام بالغنم لأصحاب الزرع مقابل إهلاك الحرث، فلما علم نبي الله
سليمان قضي بالغنم لأصحاب الحرث يتفعون بها حتى يصلح



أصحابُ الغنمِ ما أفسدوه من الأرضِ، ويعودُ الحرثُ كما كان، ثم تسلمُ الأرضُ بالحرثِ لأصحابِها وتسلمُ الغنمُ لأصحابِها.

وليس في ذلك خبرٌ ثابتٌ عن رسولِ الله ﷺ.

لكن الثابتُ من قضاءِ داودَ وسليمانَ حديثٌ رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «كَانَتْ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذَّبُّ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، وَقَالَتِ الْآخَرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ، فَقَضَى بِهِ لِلْكَبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسَّكِينِ أَشَقَّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمَكَ اللَّهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى»^(١).

(٥) {وَكَلَّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا}: ثناءٌ على داودَ وعلي

سليمانَ؛ حتى لا يُظنَّ بـداودَ أنه بعيدٌ عن العلمِ والقضاءِ، فهذا ثناءٌ من الله ﷻ بالعلمِ والحكمةِ.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٧)، ومسلم (١٧٢٠).



(٦) فيه أن الشخصَ قد يبرعُ في بابٍ، ويبرعُ غيره في بابٍ آخرَ،

وذلك منةٌ ومنحةٌ من الله تعالى.

(٧) جوازُ استعمالِ الحيلِ المشروعةِ في القضاءِ للوصولِ إلى

الحقِّ: «أَتُونِي بِالسَّكِينِ».

(٨) أن القاضي إذا اجتهدَ في الحكمِ وأخطأَ فلا إثمَ عليه؛

للايةِ، ولقولِ النبي ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ

أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(١).

ولذلك قال الحسنُ البصريُّ رحمته الله: «لولا هذه الآيةُ لرأيتَ

القضاةَ هلَكوا؛ ولكنه تعالى أثنى على سليمانَ بصوابه، وعذَرَ داودَ

باجتهاده»^(٢).

(٩) جوازُ الاستئنافِ في الأحكامِ، والرجوعِ إلى مَنْ هو أعلمُ،

ويدلُّ على ذلك حديثُ المرأتينِ اللتين أكلَ الذئبُ أحدَ ابنيهما.

^(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

^(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣٠٩/١١).



وكذلك في قصة العسيف التي رواها البخاري ومسلم عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما، قالوا: **إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُنشِدُكَ اللَّهَ إِلَّا قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ الْخَصْمُ الْآخَرُ: وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، نَعَمْ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأُذِّنْ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ»، قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَيَّ هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِي، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَيَّ ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِئَةِ شَاةٍ، وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَيَّ ابْنِي جَلْدُ مِئَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَيَّ امْرَأَةَ هَذَا الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا قَاضِينَ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، الْوَلِيدَةَ وَالْغَنَمَ رَدًّا، وَعَلَيَّ ابْنِكَ جَلْدُ مِئَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، اغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمِهَا»، قَالَ: فَغَدَا عَلَيْهَا، فَاعْتَرَفَتْ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَجِمَتْ^(١).**

وكذلك في قصة القاتل تسعة وتسعين نفسًا لما سأل عابداً، فأخطأ في جوابه قال: **دُلُّونِي عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ.**

(١) أخرجه البخاري (٢٧٢٤)، ومسلم (١٦٩٧).



عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدَلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنَا سَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ، فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيِّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَذْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٧٦٦).

(١٠) النزولُ على رأيِ الآخرينَ ما دام فيه الحكمُ والصوابُ،
فداودُ عليه السلام لم يتكبرَ على ولده، وإنما وافقه في حكمه وقضائه؛ لأنه
الصوابُ، والحكمةُ ضالةُ المؤمنِ أنى وجدها التقطها!

(١١) أن الماشيةَ إذا دخلت حرثَ قومٍ فأفسدته ليلاً كان
صاحبها ضامناً لما أتلفته، أما إذا دخلته نهاراً فلا شيءَ عليه، إنما
على أصحابِ الحرثِ أن يحرسوا زرعهم نهاراً، وهذا قولُ جمهورِ
الفقهاءِ، وقد ورد من حديثِ حرامِ بنِ مَحِيصَةَ رضي الله عنه: «أنَّ
نَاقَةَ لِلْبِرَاءِ دَخَلَتْ حَائِطًا فَأَفْسَدَتْ فِيهِ، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ
عَلَى أَهْلِ الْحَوَائِطِ حِفْظَهَا بِالنَّهَارِ، وَأَنَّ مَا أَفْسَدَتْ الْمَوَاشِي بِاللَّيْلِ
ضَامِنٌ عَلَى أَهْلِهَا»^(١).

(١٢) تركُ الكِبَرِ والرجوعُ إلى الحقِّ، فلم يتكبرَ داودُ عليه السلام لما
خالفه سليمانُ عليه السلام، وكان حكمه صائباً.

(١٣) أن من عظيمِ نعمِ اللهِ على العبدِ أن يرزقه بولدٍ صالحٍ
كسليمانَ لداودَ، وأن يكونَ الابنُ أعلمَ أو أفقهَ من أبيه فهو شرفٌ

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٩١).



عظيم للأب: { وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ }

[ص: ٣٠]، { وَلَقَدْ آتَيْنَا داوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴿١٥﴾ } [النمل: ١٥]، ولذلك

قال النبي ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا

مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١)، وقال

ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا

رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ»^(٢)، وقال الله في

وصف عباد الرحمن: { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا

وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ } [الفرقان: ٧٤].

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) أخرجه أحمد (١٠٦١٠)، وابن ماجه (٣٦٦٠).



مدة عمر نبي الله داود عليه السلام

روى ابن حبان بسند صحيح لغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللهُ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللهُ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أَوْلِيكَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ، فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ، بَيْنَهُمْ، فَقَالَ اللهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرِ أَيُّهُمَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيِ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَا هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمُرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَوْهُمْ - أَوْ مِنْ أَضْوَائِهِمْ - قَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ قَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمُرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ: يَا رَبِّ زِدْهُ فِي عُمُرِهِ. قَالَ: ذَاكَ الَّذِي كُتِبَ لَهُ. قَالَ: أَيُّ رَبِّ، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمُرِي سِتِّينَ سَنَةً. قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ. قَالَ: ثُمَّ أَسْكِنَ الْجَنَّةَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَهْبَطَ مِنْهَا، فَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ، قَالَ: فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ،



فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجَلْتَ، قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ. قَالَ: بَلَى وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتَهُ. قَالَ: فَمِنْ يَوْمٍ أَمْرٌ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ^(١).

وفاة داود عليه السلام

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ فِيهِ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ أَغْلَقَتِ الْأَبْوَابُ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ». قَالَ: «فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ، وَأَغْلَقَتِ الدَّارُ، فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ تَطَّلِعُ إِلَى الدَّارِ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَتْ لِمَنْ فِي الْبَيْتِ: مَنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ الدَّارَ، وَالِدَّارُ مُغْلَقَةٌ، وَاللَّهِ لَتَفْتَضِحَنَّ بِدَاوُدَ، فَجَاءَ دَاوُدُ فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي لَا أَهَابُ الْمُلُوكَ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنِّي الْحُجَابُ، فَقَالَ دَاوُدُ: أَنْتَ وَاللَّهِ إِذَنْ مَلَكَ الْمَوْتِ، مَرْحَبًا بِأَمْرِ اللَّهِ، فَرَمَلَ دَاوُدُ مَكَانَهُ حَيْثُ قُبِضَتْ رُوحُهُ حَتَّى فَرَغَ مِنْ شَأْنِهِ،

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦٨).



وَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلطَّيْرِ: أَظَلِّي عَلَى دَاوُدَ،
فَأَظَلَّتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ؛ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ، فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ:
اقْبِضِي جَنَاحًا جَنَاحًا».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يُرِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ فَعَلَتِ الطَّيْرُ، وَقَبِضَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ الْمَضْرِحِيَّةُ^(١).

وإسناده جيد قوي كما قال الحافظ ابن كثير.

المَضْرِحِيَّةُ: الصَّقُورُ الطَّوَالُ الأَجْنَحَةُ، وَالْمَضْرَحِيُّ: هُوَ الصَّقْرُ

الطَّوِيلُ الجَنَاحُ^(٢).

(١) أخرجه أحمد (٩٤٣٢).

(٢) انظر: تاج العروس (٦/٥٦٨-٥٦٩).



من الفوائد العامة المستفادة من قصة داود عليه السلام

(١) كثرة ملازمة أماكن الذكر والعبادة، كما كان داود عليه السلام كان كثير ملازمة المحراب حتى لما جاءه الخصمان كان متعبداً في محرابه.

(٢) ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام وغيرهم، ولا يفعل كما فعل الخصمان.

(٣) لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم وفعله ما لا ينبغي؛ إذ قال الخصم لداود: {فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ}، والدخول بغير استئذان.

(٤) ينبغي على القاضي أن يتحلَّى بالحلم والصبر، فقد دخل الخصمان من السور وبغير استئذان وأفزعا داود عليه السلام، ولم ينتهرهما، ولم يُوبَّخهما ولم يطردهما.

(٥) وجوب قبول النصيحة ولو كانت موجهةً لجليل كبير عظيم القدر، وكذلك العظة وعدم الغضب لذلك.



(٦) أن المخالطة بين الأقارب والأصدقاء بالأمور الدنيوية أمرٌ موجبٌ للتعادي غالباً، وبغْيٍ بعضهم على بعضٍ، كما يُقال في الأمثال: «إذا كنت تحبُّ إنساناً لا تحاسبه ولا تناسبه».

(٧) الاستغفارُ والعبادةُ مكفّراتٌ للذنوبِ.

(٨) الحكمُ بين الناسٍ مرتبةٌ دينيةٌ تولاها رسلُ الله وخواصُّ خلقه، ووظيفةُ القائمِ بها الحكمُ بالحقِّ ومجانبةُ الهوى، والحكمُ بالحقِّ يقتضي العلمَ بالشرعِ والعلمَ بصورةِ القضية، والجاهلُ بأحدِ الأمرينِ لا يصلحُ للحكمِ، ولا يحلُّ له الإقدامُ عليه.

وصلِّ اللهم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم!

آمين آمين!



فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
٣	مقدمة
٦	مناقب داود <small>عليه السلام</small>
٧	داود <small>عليه السلام</small> قبل النبوة
١٠	نبيُّ الله داود <small>عليه السلام</small> في سورة «ص»
١٥	من فوائد هذه الآيات المباركات، من سورة «ص»
٣٥	نبي الله داود <small>عليه السلام</small> في سورة سبأ
٣٦	من فوائد هذه الآيات الكريمة، من سورة «سبأ»
٤٩	نبيُّ الله داود <small>عليه السلام</small> في سورة الأنبياء
٥١	من فوائد الآيات، من سورة «الأنبياء»
٥٨	مدة عمر نبيِّ الله داود <small>عليه السلام</small>
٥٩	وفاة داود <small>عليه السلام</small>
٦١	من الفوائد العامة المستفادة من قصة داود <small>عليه السلام</small>

